

سورة التكوير (دراسة دلالية)

م.م. نعم هشام الجماس
جامعة الموصل / كلية التربية

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٤/٥/١٨ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٤/٦/٧

ملخص البحث :

السورة المباركة مكية بالاتفاق ، تشتمل على مشاهدة غيبية مروّعة منذرة بأمارات القيامة وعلامات الجزاء ، وبالقراءة الممعنة لآيها ، شرع البحث في إجلاء المستويات الدلالية للتعبير القرآني فالمستوى النحوي والصرفي والمعجمي ولّد رؤى ودلالات قرآنية تبين أوصاف اليوم المحيط وأحواله وأهواله وتقصح عن التغيرات الكونية الغريبة يوم تُسأل النفس الانسانية من وأدّها ظلماً وضأراً ، كما شكل المستوى البلاغي قمة الاعجاز لأنه طرق أبواب البلاغة القرآنية الثلاثة البيان القرآني ، والبديع القرآني ، وعلم المعاني . تلك الفنون التي وظفت في تفصيل أحوال الأحداث الجسام وإثبات نبوة المصطفى المبلّغ لرسالة الله السماوية والتعريض بالكفرة الجاحدين . ولقد أبرز البحث مفردات جميلة متألّفة في صوتيات حروفها متآزرّة مع المدلولات والمقاصد القرآنية الدقيقة كتناسب رؤوس الآي سجعاً وما أضفاه التجنيس من انسجام صوتي ايقاعي موميّ الى المرامي القرآنية المقصودة وهكذا تتحد المستويات الدلالية في وحدة نصية اعجازية تناسبية تلاؤماً مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من سرّه أن ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطرت﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾^(١) .

Surat Al-Takween (Deductive Study)

Niam Hashim Al - Jamas

University of Mosul - College of Education

Abstract:

Conglomeration Surah is Meccia (unanimously). When we read its verses carefully, we'll find that it includes a frightful invisible seeing with signs of doomsday and judgment marks.

(١) تفسير التستري ، ١٨٧ .

This research starts with clarifying all indicative levels of Quran expression. Grammatical, morphological and lexical levels provide Quranic evidences that explain the descriptions, conditions and terrors of the doomsday. These levels also manifested strange universal changes when human self is asked who buried it oppressively as it is alive, whereas the rhetorical level created climax of inimitability because it pointed to the three sections of Quran eloquence which are: Quran explanation, Quran rhetoric and semantics. All these arts appointed to explain states of great occurrences, to prove prophecy of Muhammad (our messenger) who informed the heaven message of Allah and to face the renegades and unbelievers.

Research showed aesthetic vocabularies that are in harmony with the sounds of its letters, cooperative with its meanings and with the accurate purposes of Quran. For example, the conformity of beginnings of verses in rhyme, and the paronomasia imparted a rhythmical sound conformity, which refers to the exact Quran purposes, so all the semantic levels were unified in a miraculous text which is in conformity with our prophet's say: "If some one wants to see doomsday happily with his two eyes, he must read these verse: (If the sun be conglomerated), (If the sky be broken up) and (If the sky be cracked).

F

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَامُ رُطِّبَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ (١٤) فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ (١٥) الْجَوَامِرِ الْكُنَافِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ

بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَّرْجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ
أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾

التحليل الدلالي :

توالت وتكررت صيغ نحوية وصرفية في السورة المباركة أفادت المعنى القرآني وأجلت الدلالات المقصودة فيه كتكرار (إذا) وما أو ما إليه من معنى التفاجؤ السريع بعلامات اليوم المحيط ومن أبرزها "التفاف الشمس وجمع بعضها على بعض كتكوير العمامة" (١) ، ولعل في لفظ التكوير الذي اشتقت تسمية السورة الكريمة منه (٢) ، إيماء إلى نظرية نشوء الكون بهيأة مكورة تشمل كواكبه وأجرامه السماوية وفي (إذا) المكررة فضل بلاغة يكمن في "الاطناب المقصود به التهويل" (٣) ، لما في يوم المعاد من إمارات وعلائم تذهل النفس البشرية. ومما يلحظ في الآيات الكريمة ابتداءً بالآية الأولى وانتهاءً بالآية الرابعة عشرة، بروز موقع الحدث ﴿الشَّمْسِ ، النُّجُومِ ، الْجِبَالِ ، الْعِشَارِ ، الْوُحُوشِ ، الْبِحَارِ ، النُّفُوسِ ، الْمَوْعُودَةِ ، الصُّحُفِ ، السَّمَاءِ ، الْجَحِيمِ ، الْجَنَّةِ ، النَّفْسِ﴾ فالمفردات القرآنية نوابغ فاعل لافعال مضمرة تفسرها الافعال المبنية للمجهول المذكورة بعدها ولعل إضمار الافعال وظهور نوابغ الفاعل وتقدم المرفوعات على افعالها مما يتسق مع الاثارة التي تولدها باعتبارها مواقع الحدث المتغير حين قيام الساعة وظهور أحوالها وأهوالها وهي أحوال محيطية شاملة أشار إليها "ابن عباس رضي الله عنه حين ذكر أن قول الله عز وجل ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلى قوله ﴿إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ تشمل اثني عشر حدثاً ستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية ، وستة منها تحصل في الآخرة" (٤) ويمكن تصور تغير الظواهر الكونية والأرضية والإنسية الحادثة قبل البعث وبعده وما تبعته في النفس من رهبة وخوف وذعر من خلال نظم الآيات المباركة "قالشمس تُنْفُ وتطوى ويزال ضياؤها" (٥) ، والنجوم تتكدر وتتساقط وتتهاوى على الأرض ويمحى ضياؤها لأن معظمها يستتير من انعكاس نور الشمس عليها (٦) والجبال تقلع عن الأرض وتُسَيَّر

(١) تفسير البغوي، ١٣٨٥ .

(٢) ينظر .التفسير المنير ٨٢/٣٠ .

(٣) التحرير والتنوير ١٤٠/٣٠ .

(٤) م.ن ١٤١/٣٠ .

(٥) القيامة رأي العين ٤٧ .

(٦) ينظر : اعجاز القرآن في العلوم الجغرافية ٤٦-٤٨ .

في الهواء حين زلزلة الأرض فتبدد في الجو وتصير هباءً منبثاً^(١) ، والعشار وهي النوق الحوامل التي في بطونها أولادها تترك بلا راع وتهمل لشدة الخطب وعظمة الهول^(٢) ، والوحوش تجمع وتحشر فيقتص بعضها من بعض وقيل أن حشرها موتها وهلاكها^(٣) ، والبحار توقد بالبراكين والزلازل فتصير ناراً تضطرم ، بعد أن فاض بعضها الى بعض وصارت شيئاً واحداً^(٤) . وأما قوله تعالى ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ففي تفسيره رأبان نرجح الأول منهما وهو الذي ذكره ابن عاشور في تفسيره حيث قال "يجوز أن يكون معنى النفوس هنا الأرواح ، أي تزوج الأرواح بالأجساد المخصصة لها فيصير الروح زوجاً مع الجسد بعد أن كان فرداً لا جسم له في برزخ الأرواح، وكانت الأجساد بدون أرواح حين يعاد خلقها ، أي وإذا أعطيت الأرواح للأجساد ، وهذا هو البعث وهو المعنى المتبادر أولاً"^(٥) ونرى رأي المفسر متلائماً مع موضوع السورة المباركة المفصح عن مشاهد القيامة ، وتتضح جمالية البديع البلاغي في الرأي الثاني فالتقابل قائم ما بين فريقين " إذ تُزَوجُ نفوس المؤمنين بالحوار العيين وتزوج نفوس الكفار بالشياطين ، وقد قرن بين الكافر والشيطان في سلسلة واحدة"^(٦) ، وتتجلى بلاغة التقسيم إذ أن "الأشخاص تتوع وتصنف فتجعل أصنافاً المؤمنين ، والصالحون ، والكفار ، والفجار ، قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾"^(٧) ، فضلاً عن جمالية السجع المرصع الكائن في توافق الفواصل رعاية لرؤوس الآيات^(٨) ، أما على المستوى الصوتي فاننا نلاحظ ومن خلال التطواف في أفعال الآيات ﴿كُورَتْ ، سِيَّرَتْ ، عَطَّلَتْ ، حُشِرَتْ ، سُجِّرَتْ ، زُوِّجَتْ ، سُئِلَتْ ، قُتِلَتْ ، نُشِرَتْ ، كُشِطَتْ ، سُعِّرَتْ ، أُرْلِفَتْ﴾ أنها منتهية (بالتاء) وهو صوت مهموس مومئ بهدوئه وهمسه الى انتهاء الحياة الدنيا وحلول أحداث يوم الحشر وأهواله، كما نشهد ظاهرة صوتية تثري النص الكريم بمدلولاته الرامية الى سرعة تلاحق علامات الساعة وأحوالها من خلال تتابع الآيات القصار وتواليها وانسجامها وتوافقها صوتياً وبالوقوف عند قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ

(١) ينظر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، ٥٢٤/٥ .

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤٥٤/٦ .

(٣) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ١٥٥/٣٠ .

(٤) السراج المنير ٤٩٢/٤ .

(٥) التحرير والتنوير ١٤٤/٣٠ .

(٦) تفسير التستري ، ١٨٧ .

(٧) سورة الواقعة الآيات ٧-١٠ وينظر : التحرير والتنوير ١٤٤/٣٠ .

(٨) ينظر : صفوة التفاسير ٥٢٦/٣ .

، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» يستحضر الذهن قوله تعالى : «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ»^(١) فالقرآن يفسر بعضه بعضاً ، وعلى المستوى البلاغي نلاحظ أن آية السؤال تتضمن بلاغة كنائية عن إدخال الروح في نفس القاتل ، وأما آية الذنب فالاستفهام فيها انكاري دال على "التقريع والتوبيخ والتخطئة لمرتكب الجريمة"^(٢) وجريمة وأد البنات ودفنها حية خوف العار والحاجة ، وهي عادة كانت قبائل عرب الجاهلية معتادة عليها^(٣) ، والنشر لغة (البسط)^(٤) ، والصحف هي صحائف الأعمال التي فعلها الانسان في الحياة الدنيا ، والمرجح أن اللفظ مستعار لاطلاقه على أشياء فيها إحصاء أعمال الناس^(٥) يتسق ذلك مع البلاغة الكنائية عن "التكثير لكثرة الصحف"^(٦) والأعمال التي يزاولها الانسان .

ويتغاير المعنى القرآني (للكشط) عن المعنى المعجمي المفيد "للنزع والكشف والازالة"^(٧) لأن الفعل مستعار لأداء معنى التشقق والتفريق ومن ثم الإزالة^(٨) ، ويرسم القرآن الكريم بالآية المباركة صورته المروعة المجلية للتحويلات السماوية وتنوع أشكالها لتكون أشرطاً للساعة [فيكون الكشط من قبيل الانشقاق في قوله تعالى «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ»^(٩) والانفطار في قوله تعالى «إِذَا السَّمَاءُ انفطرت»^(١٠) ويكون الكشط لبعض أجزاء السماء والمكشوط عنه بعض آخر معزراً ذلك بقوله تعالى «لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ»^(١١) ويكون من قبيل الطي في قوله تعالى : «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ»^(١٢)].

(١) سورة النحل الآية ٥٨ .

(٢) التحرير والتنوير ١٤٦/٣٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٧٦/٤ .

(٤) معجم مقاييس اللغة مادة (بسط) ٢٤٧/١ .

(٥) التحرير والتنوير ١٤٩/٣٠ .

(٦) م.ن ١٤٩/٣٠ .

(٧) معجم مقاييس اللغة مادة (كشط) ١٨٤/٥ .

(٨) ينظر : البحر المحيط ٤٣٣/٨ .

(٩) سورة الانشقاق الآية ١ .

(١٠) سورة الانفطار الآية ١ .

(١١) سورة الاعراف من الآية ٤٠ .

(١٢) سورة الانبياء الآية ١٠٤ . وينظر : التحرير والتنوير ١٤٩/٣٠ .

وإذا ما كانت الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء فالنقابل الأخروي^(١) في قوله تعالى ﴿وَإِذَا﴾
﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ يلمح بأصحاب الجنة وأصحاب السعير ، ولعل
مجيء فعل (التسعر) بصيغة صرفية مشددة يدل على "التأجج والإيقاد الشديد لإحراق أعداء
الله"^(٢) ، وأما أصحاب دار النعيم فقد نسب اليهم فعل التزلف ، لأنهم "قريبون من رحمة ربهم"^(٣)
ربهم"^(٣) واختير الفعل لأنه "من المفردات القرآنية التي تنص على الجمالية صراحة بكل ما
تستوعبه من معاني الجمال والحسن المادي والمعنوي"^(٤) وقرب الجنة من أهلها كناية عن إكرام
المؤمنين إذ لا تعب عليهم في الوصول إليها لأنها قريبة منهم.

وعندما يرى الانسان الأشرط الغيبية المذكورة تستحضر النفس الأعمال التي يجازى
عليها يومئذ ، ويتضح ذلك في قوله تعالى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ التي يتجلى فيها
الاعجاز البلاغي إذ أن "إسناد الاحضار الى النفوس يكون من اسناد فعل الشيء الى سبب
فعله، فيحصل بذلك مجازان : مجاز لغوي ومجاز عقلي ، وحققتهما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ
كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا
بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾"^(٥) وبالتأمل في النسق القرآني نرى انبثاث
الفعل الماضي في السورة المباركة ولعل بناءه للمجهول في الآيات السابقة يجعله مستخدماً في
تحقق الوقائع الجسم مستقبلاً يتسق ذلك مع استخدام صيغتي (فُعِلَ) و(انْفَعَلَ) اللتين "استخدمتا
استخداماً متشابهاً وكان القصد من ذلك تصوير أهوال يوم القيامة من خلال إبراز الأحداث
الجسيمة وإسنادها إلى ما له علاقة مباشرة بهذه الأحداث ، ولا يمكن أن يُبرَز الحدث والحدوث
وما اسند اليه الحدث بهذه الصورة غير بناء (فُعِلَ) وبناء (انْفَعَلَ) في النظم القرآني"^(٦) ولا جرم
أن تقدم المسند اليه في الجمل الثلاث عشرة المفتحات ب (إذا) والأخبار عنه بالمسند الفعلي مع
إمكان أن يقال : "إذا كورت الشمس وإذا انكدرت النجوم"^(٧) ، فهو تقديم يراد به التهويل والتشويق
وانحصار العقل البشري في رسم صورة يوم النبا العظيم ، كما أن النص القرآني برمته ابتداءً
بالآية الأولى وانتهاءً بالآية التاسعة والعشرين كناية عن عظم الأمر الجلل أمر قيام الساعة.

(١) ينظر : التقابل والتماثل في القرآن الكريم إذ يحتوي على إحصائية عن عدد ورود ألفاظ الجنة والنار أو

السعير في القرآن الكريم ٢٥٨ .

(٢) تفسير النسفي ٦٥٧/٣ .

(٣) تفسير القرطبي ٢٣٥/١٩ .

(٤) الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ٢٣ .

(٥) سورة آل عمران من الآية ٣٠، وينظر : التحرير والتنوير ١٥١/٣٠ .

(٦) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ٨١ .

(٧) التحرير والتنوير ١٥٠/٣٠ .

وتشرع سورة التكوير بالتحوّل الموضوعي ولأنها كغيرها من السور المكية المعنية بالعقيدة الاسلامية ، فإن الانتقال الى "إثبات صدق الوحي القرآني ونبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم"^(١) قد مهّد له بالحلف بلفظ القسم وبـ(لا) الزائدة وبالمفردات الكونية والزمنية وجمالياتها في تعاقب حدوثها .

إن أسلوب توكيد الخبر وتحققه بوساطة (لا) والفعل (أقسم) مطرّد متناظر في كتاب الله العزيز فقد استخدم في أكثر من موقع لإثبات قضايا العقيدة كما في قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾^(٢) وفي قوله تعالى ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(٣) .

وتثري البلاغة القرآنية الدلالات الشريفة في قوله تعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ، الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾ وذلك من خلال دقة استعارة الألفاظ الكونية "فالخنوس اختفاء الوحش عن أنظار الصيادين ونحوهم دون سكون في كناس وكذلك الكواكب لأنها لا تُرى في النهار لغلبة شعاع الشمس على أفقها وهي مع ذلك موجودة في مطالعها"^(٤) .

ويتواشج المدلول القرآني بقوله ﴿الْجَوَارِي الْكُنَّسِ﴾ الدال على "تشبيهه غروب الكواكب بعد سيرها بكنوس الوحوش في كناسها وهو ترشيح لاستعارة جمالية بديعية"^(٥) ، فضلاً عن جماليات التجانس الصوتي والمعنوي بين ﴿الْخُنَّسِ﴾ و﴿الْكُنَّسِ﴾ فالصوتي ممثلاً بحرف (السين) والمعنوي أنهما دالان على تعاقب ظهور وخفاء الكواكب السيارة في حركة ودأب واستمرار وبصورة هادئة . ويتناسب السياق القرآني مع ذكر الليل والصبح المقسم بهما ، ولنستكشف الرديف المعنوي الدال على تعاقب الليل والنهار ، فقد وصف الليل بالفعل (عسعس) وهو من "الأضداد الدالة على إقبال الليل وإدباره"^(٦) ويمكن استخلاص الحركة المتتابعة في إقباله وإدباره من خلال بناء صيغة (فعلل) الدال على التدرج والتعاقب والتتابع فالليل يقبل ليدبر النهار ، والنهار يقبل ليدبر الليل وهكذا في حركة دائمة . ومما يعضد الدلالة القرآنية تتابع صوتي حرفي (العين والسين) وكأنهما يشعلان بمجيء الليل وذهابه .

ووصف الصبح بالتنفس ، وصف جمالي "فالتنفس مشتق من النفس هو النسيم الذي يخرج من الرئة للترويح عن القلب وقد استعير لما يقبل مع الصبح من الأضواء ، وكأنها نسيم

(١) المحرر الوجيز ٣٣٩/١٥ .

(٢) سورة الواقعة الآية ٧٥ .

(٣) سورة البلد الآية (١) ، وينظر : سورة البلد (دراسة دلالية) ، د.هناء محمود شهاب ، نعم هاشم الجماس .

(٤) التحرير والتتوير ١٥٣/٣٠ .

(٥) م.ن. ١٥٣/٣٠ .

(٦) الأضداد في القرآن الكريم ١٧٩ .

وأنفاس تهب على الوجود لتفرج عن كرب الظلام وغم سواده^(١) ويتناسق المعنى القرآني الجمالي مع بناء الفعل صرفياً إذ أن صيغة (تَفَعَّل) تدل على (تدرج)^(٢) وتتابع واستمرار إقبال الصباح وإدباره ، وتتألف الألفاظ القرآنية «الْخُنْسِ ، الْكُنْسِ ، عَسَسَ ، تَنَفَّسَ» فيها من السجع المرصع ما يجعل فواصلها متوافقة إيقاعاً ودلالة . وبعد القسم بالحروف والمفردات الكونية وعرض أدلة الإقناع يعرض القرآن الكريم في السورة الكريمة قضية العقيدة الكبرى وقد توافرت لإحقاقها المؤكدات (إن واللام) والمرجح في قوله تعالى «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» انه الملك جبريل عليه السلام وقد وصف "بكونه رسولاً لأنه مرسل من الله الى النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم"^(٣) ، وتثرى الآيات الكريمة المتتابعة الى قوله تعالى: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» بالكنايات البلاغية عن التكريم والتشريف بالمبْلَغ وهو الملك جبريل عليه السلام والمبْلَغ وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يتجانس مع الجنس القرآني بين «مَكِينٍ ، أَمِينٍ» فصوتيات الحروف القرآنية تتآزر مع معنى المفردتين الأيلتين الى أن "جبريل عليه السلام مؤتمن على الوحي والرسالة وذو رفعة عالية ومكانة سامية عند الله تعالى"^(٤) وهذا بدوره يتواشج مع توالي أسلوب النفي في قوله : «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ، وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ، وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» المشير وبمساندة ورود الباء الزائدة الى تبليغ رسالة رب العالمين وعندما تنتوع القراءات القرآنية ، إذ تُقرأ المفردة قراءتين مختلفتين لفظاً ومعنى إلا أنها تصب في مصب خدمة المدلول القرآني فإن ذلك يشكل قمة الإعجاز الدلالي في كتاب الله عز وجل وينطبق ذلك على لفظة (بضنين) فإذا ما قرأت بالضاد الساقطة حُمِلت على معناها الحقيقي الذي يعرضه ابن عاشور في قوله "أي وما صاحبكم ببخيل أي بما يوحي اليه وما يخبر به عن الأمور الغيبية طلباً للانتفاع بما يخبر به بحيث لا ينبؤكم عنه الا بعوض تعطونه وذلك كناية عن نفي أن يكون كاهناً أو عرافاً يتلقى الأخبار عن الجن إذ كان المشركون يترددون على الكهان ويزعمون أنهم يخبرون بالمغيبات"^(٥) ويحسن بلاغياً أن يكون «ضنين» مجازاً مرسلأ في الكتمان بعلاقة اللزوم لأن الكتمان بخل بالأمر

(١) سورة الرحمن وسور قصار ٧٤ وينظر : الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث ١٥٥

(٢) عمدة الصرف ٣٧ .

(٣) التحرير والتنوير ١٥٤/٣٠ .

(٤) تفسير المنير ٩٠/٣٠ .

(٥) التحرير والتنوير ١٦٢/٣٠ .

المعلوم للكاتم ، وما هو بكاتم الغيب^(١) وتعضد الدلالة بحرف الجر (على) المتضمن معنى (الباء) لأداء المقصود القرآني.^(٢)

وأما إذا قرأت (ظنين) بالطاء يكون اللفظ مشتقاً من الظن بمعنى التهمة ، ويراد بذلك أن يكون جبريل مظنوناً به سوءاً بأن يكون كاذباً (حاشاه) فيما يخبر به عن الغيب^(٣) فيكنى بهذا المعنى عن نفي التخطئة المنسوبة الى ملك الله تعالى جبريل عليه السلام .

ويوظف قوله تعالى ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ بعد إدراج براهين الإقناع الإلهي للتعريض بالمنكرين الجاحدين وهم محور التحول الموضوعي الثالث في سورة التكوير وكل ما تتضمنه الآية الكريمة يأتي في معرض التقريع والتحقير والاقلال من شأن المنكرين لذكر رب العالمين فالإستفهام الإنكاري وبلاغة الإيجاز بحذف حرف الجر إذ التقدير (الى أين تذهبون) واستخدام ضمير الخطاب المباشر قد أغنى القول المبارك بالمرامي المقصودة . ويمثل القصر الإضافي في قوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ الحجة الدامغة لإبطال مزاعم الكفرة الآثمين والذي أفاد قصر القرآن على الذكر وقد أريد منه إبطال أن يكون قول شاعر أو كاهن أو مجنون وبذلك فالقصر يُساق في سياق توكيد قوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾^(٤).

وتتوج السورة المباركة بالمقابلة الضمنية بين فريق الضلال وفريق الاستقامة في قوله تعالى ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ، وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ فالتبعيض الذي يولده معنى حرف الجر (من) يذكر بقوله تعالى ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ المقصود به فريق الشرك ، وهذا يعني أن يمثل الفريق الآخر المكرمين النائلين شرف الاستقامة "بكونهم محل العناية من ربهم إذا شاء لهم الاستقامة وهياًهم لها"^(٥).

(١) م.ن ١٦٢/٣٠ .

(٢) م.ن ١٦٢/٣٠ .

(٣) ينظر : م.ن ١٦٣/٣٠ .

(٤) ينظر : م.ن ١٦٥/٣٠ .

(٥) البحر المحيط ٤٣٥/٨ .

ثبت المصادر والمراجع

أولاً. الكتب

١. الأضداد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق ، محمد نور الدين المنجد ، ط١، دمشق- سوريا ، ١٤٢٥هـ - ١٩٩٩م .
٢. إعجاز القرآن في العلوم الجغرافية ، د.محمد مختار عرفات ، ط١ ، دمشق - سوريا ، بيروت-لبنان ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ، ط١ ، بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
٤. تفسير البغوي (معالم التنزيل) للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، ط١ ، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
٥. تفسير التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان (د.ت) .
٦. تفسير التستري ، الإمام أبو محمد سهل بن عبد الله التستري علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود ، ط١ ، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .
٧. تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، تأليف العلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عميرات ، ط١ ، بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .
٨. تفسير القرآن العظيم : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، أشرف على تصحيحه : علي شيري ، بيروت - ١٩٣٥م .
٩. تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير ، الإمام الشيخ الخطيب الشربيني ، ط٢، بيروت ، (د.ت) .
١٠. التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ، محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي ، الرياض، (د.ت) .
١١. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، الأستاذ د.وهبة الزحيلي ، ط١ ، دار الفكر المعاصر بيروت - لبنان ، دار الفكر دمشق - سوريا ١٤١٨هـ-١٩٩٨م .
١٢. التقابل والتماثل في القرآن الكريم ، د. فايز عارف القرعان ط١ ، أريد-عمان ١٩٩٤م .

١٣. الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، القاهرة - ١٩٦٦ م .
١٤. الدراسات الأدبية لأسلوب القرآن الكريم في العصر الحديث ، محمد أحمد الأشقر ، ط ١ ، عمان - الأردن ٢٠٠٣ م .
١٥. سورة الرحمن وسور قصار ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت) .
١٦. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، بيروت - ١٩٨٦ م .
١٧. الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم ، نذير حمدان ، ط ١ ، جدة - السعودية ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .
١٨. عمدة الصرف ، كمال ابراهيم ، ط ٢ ، بغداد ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .
١٩. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة ، محمد الصادقي ، ط ٢ ، بيروت ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
٢٠. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د. سناء حميد البياتي ، ط ١ ، عمان - الأردن ٢٠٠٣ م .
٢١. القيامة رأي العين ، محمد محمود الصواف ، ط ٣ ، بيروت ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
٢٢. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن عطية تحقيق الرحالي فاروق ، وعبد الله بن ابراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد ابراهيم ومحمد الشافعي ، وصادق الضاني ، ط ١ ، الدوحة - ١٩٨١ م .
٢٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تفسير عبد الله بن أحمد النسفي ، تحقيق مروان محمد الشعار ، بيروت - ١٩٩٦ م .
٢٤. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، بيروت - ١٩٧٩ م .
- ثانياً. الدوريات :

١. سورة البلد (دراسة دلالية) د. هناء محمود شهاب ونعم هاشم الجماس ، مجلة التربية والعلم المجلد (١١) ، العدد (١) ، ٢٠٠٤ .